

فلسفة التاريخ: من التصور التأملي إلى النظرة النقدية

The Philosophy of History: from meditations to critical view

حساين دواجي عالي

جامعة جيلالي ليايس بسيدي بلعباس (الجزائر)، مخبر الأبحاث والدراسات الفلسفية،

daouadjiphilos@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/05/05

تاريخ القبول: 2022/03/05

تاريخ الاستلام: 2022/01/10

ملخص:

يعتبر الإنسان تاريخي بجوهره، فهو يرتبط بالماضي ارتباطا غير منفصم، فمنذ أن بدأ يدرك ذاته أصبح ماضيه جزء من وعيه المنتبه، بمعنى جزء من إنسانيته، والإنسان لا يقتصر على تذكره للماضي وتسجيله له فحسب بل هو الكائن الفاعل، من كونه لا يتأثر بالواقع فحسب بل يؤثر فيه، فهو ينشئ الحياة ويصنع التاريخ. وفي سبيل فهم الوعي التاريخي عند الأفراد والشعوب وبالتالي إدراك معنى التاريخ كعلم ينتظم فيه هذا الوعي يجب الاحاطة بأهم الفلسفات التاريخية التي عرفها مسار الفكر البشري في تطوره على المستوى اللاتأملي والمستوى النقدي كلمات مفتاحية: فلسفة، التاريخ، التأملية، النقدية، الوعي.

Abstract :

Man, in his essence is considered historical. He is inextricably linked to the past. Since he began to realize himself, his past has become part of his attentive consciousness, meaning a part of his humanity, and man is not limited to remembering and recording the past only, but is the active being, as he is not only affected by reality, but It affects him, he creates life and makes history.

In order to understand the historical awareness of individuals and peoples, and thus “realize the meaning of history as a science in which this awareness is organized, it is necessary to take note of the most important historical philosophies known to the path of human thought in its development at the reflective and critical levels.”

Key words: Philosophy; history; meditation; criticism; awareness

مقدمة:

وصف الإنسان بجملة من الصفات تجعله متميزا متفردا، فقليل عنه أنه الكائن الاجتماعي بطبيعته، والكائن المفكر القادر على الابداع، فقد تمكن من الارتفاع بقدرة تعقله عن مستوى الحيوانية من خلال تخطيه لحدود المكان وانفلاته من قيود الزمان، وهذا ما مكنه من أن يعيش الحاضر والماضي والمستقبل

إن الحديث عن فلسفة التاريخ هو الحديث عن أهم المباحث الفلسفية في العصر الحديث، حيث تحددت معالمها في القرن الثامن عشر على يد مجموعة من الفلاسفة الذين مثلوا عصر التنوير من أمثال فيكو *Vico* ومونتسكيو *Montesquieu* وفولتير *Voltaire* وهردر *Herder* وغيرهم، وما انفك القرن الثامن عشر على البروغ حتى تطورت الدراسات التاريخية بصورة مذهلة حتى بلغ بعضهم إلى تسمية هذا العصر بعصر التاريخ، بل إن هذه التسمية هي التي تميزه تميزا تاما عن العصور السالفة كافة، ولوحظ أن ذلك هو سبب استحقاق هذا القرن للشهرة، (كاسير، د.ت، ص3) حيث ظهر في هذا الوقت جهاذة فلسفة التاريخ على غرار هيغل *Hegel* وماركس *Marx* وكونت *Comte* وغيرهم كثير.

إن مجمل محاولات تفسير التاريخ وفق فلسفة العصر السائدة عند مختلف الأمم والشعوب هي مضمون فلسفات التاريخ على المستوى المنهجي من ناحية وجهة نظر فلسفية بالفحص والنقد الدقيق لمنهج المؤرخ لذلك عرفت بالفلسفة النقدية للتاريخ، وعلى مستوى تحديد أنماط الحركة التي يتبعها التاريخ في سيره والقوانين التي تتحكم فيه من ناحية أخرى، فعرفت بالفلسفة التأملية للتاريخ.

ومن خلال هذه المقدمة تتضح اشكالية هذا المقال والتي يمكن صياغتها كالآتي: ماهي التصورات التي تهيكّل النظرة التأملية للتاريخ؟ وكيف تبلورت النظرة النقدية له؟

1. في مفهوم التاريخ:

إن لفظ التاريخ مصدره اللفظ أرخ، فهو يعني من حيث الاصطلاح الزمن والحقبة، كما زعم بعضهم أنه مشتق من اللغة العبرية بمعنى تحديد بدء الشهر القمري، هذا في اللغة العربية، لكن في اللغة الفرنسية فهي لفظة مشتقة من اللفظ *Istoria* اليونانية وذلك في حدود القرن الخامس قبل

الميلاد، من حيث كان يدل على البحث عن الأشياء الجديدة بالمعرفة. كما كانت تعني أيضا الرؤية والمشاهدة أو الاستقصاء بقصد المعرفة. (رأفت، 1988، ص.7) ويرجع مصطفى النشار في كتابه: "من التاريخ إلى فلسفة التاريخ" أن الاشتقاق اللفظي لكلمة Istoria إلى القرن السادس والخامس قبل الميلاد، حيث قصد به في البداية "البحث عن الأشياء الجديدة بالمعرفة" وانحصر هذا المعنى العام بمرور الوقت وصارت الكلمة دالة على معرفة الأحداث التي وقعت في الماضي ورافقت تطور الأشياء والظواهر المختلفة، وبذلك ولد تعبير التاريخ بمفهومه الشائع الذي استخدمه أوائل المؤرخين اليونان على غرار هيرودوت و Herodotee، وثيوكيديدس، Thucydides حيث قصرها على تتبع الأحداث التاريخية التي صنعها الإنسان في الأزمان الماضية، وروايتها على نحو ما وقعت به فعلا (حساين، 2016، ص.143)، وقد اهتم الفلاسفة والمفكرون بالتاريخ وقد حاولوا ضبط مفهومه، فارتبط مفهوم كل واحد بتوجهه الفكري ورؤيته الفلسفية .

2. في مفهوم فلسفة التاريخ:

ويمكن القول أن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، وذلك لغاية الوقوف على العوامل الأساسية التي تتحكم في سير هذه الحوادث. من أجل استنباط القوانين العامة الثابتة التي تكشف عن الميكانيزمات التي تتطور بموجبها الأمم والدول. وقد ظهر مصطلح فلسفة التاريخ في غضون القرن الثامن عشر عندما عبر هورس Hors في كتابه (قيمة التاريخ) على «أن التاريخ لا يستطيع وحده وبغاية من ذاته أن يغذي حياة داخلية وثقافة في الإنسان ولا يستطيع أن يصبح العنصر المدبر بالنسبة إليهما ولا روحهما...فهذا الدور لا يقدر على تمثيله غير الفكر المتحكم بالنظريات...ولنقل غير الفلسفة» (بن مزيان، 2007، ص.18). وكان المصطلح قد ابتدعه فولتير Voltaire قاصداً به ذلك العرض التحليلي النقدي الذي يلتزم في المؤرخ بنوع من التفكير التاريخي على أسس تحليلية نقدية. ثم تطور المفهوم حتى أصبح يدل على ذلك البحث في الوقائع التاريخية من أجل اكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير هذه الوقائع وتعمل على استنباط القوانين التي بموجبها تتطور الأمم والحضارات.

ويمكن أن ننظر إلى فلسفة التاريخ بمنظورين أساسيين: المنظور التركيبي للفلسفة وفيه لا يدرس فيه الفيلسوف مناهج البحث في التاريخ وإنما يقدم وجهة نظر عن مسار التاريخ ككل وهذا ما يعرف بالفلسفة التأملية للتاريخ، ومنظور تحليلي للتاريخ وهو الذي يهتم بدراسة الحدث التاريخي

من خلال البحث في مناهج والطرق التي يمكن أن يكتب بها التاريخ وكيفية التحقق من صدق الوقائع التاريخية، والكشف عن مدى صدق هذه الوقائع ومناقشة فكرة الموضوعية في التاريخ وهذا يمكن أن يطلق عليه الفلسفة النقدية للتاريخ.

1.2. الفلسفة التأملية للتاريخ:

يطلق مصطلح الفلسفة التأملية للتاريخ على ذلك النمط من فلسفة التاريخ الذي يعنى بالبحث في تحديد أنماط الحركة التي يتبعها التاريخ في حركته، كما يشغل دعاة التصور التأملي للتاريخ بالبحث عن الأسباب التي نشأ عنها هذا النمط أو ذاك من حركة التاريخ، وذلك من خلال اكتشاف القوانين العامة التي تتحكم فيها، لغاية اعطاء معنى لهذه الحركة (عفت، 1985، ص.171). وقد تجسدت هذا التصور الفلسفي من خلال ارتباطها بالأنساق الفلسفية الكبرى، حيث عرض اصحاب التوجه التأملي في التاريخ لثلاثة أنماط من الحركة في التاريخ :

1.1.2. حركة التقدم الصاعد:

طرح فلاسفة الانوار فكرة التقدم من خلال التاريخ، إذ يؤكد معظم أنصار هذه النظرية على حتمية التقدم الذي يقوم على أساس أن الحياة تتكون من البسيط إلى المركب إلى الأكثر تركيبا طبقا لقانون حتي. (بن مزيان، 2003، ص.42) إذ يعتقد أصحاب هذا التوجه أن التاريخ يسير وفق خط مستقيم تصاعدي. وقد سادت هذه النظرة إلى التاريخ في عصر التنوير عقب الكشوفات العلمية التي دعمت فكرة سيادة الإنسان على الطبيعة مما كرس ثقته في المستقبل واستعلاءه على الماضي، وبهذا أخذت معنى تطوري يقوم على أنه لما كانت عملية التطور حتمية أدت بالإنسان إلى أن يصبح على رأس الكائنات الحية، فمعنى التقدم متضمن في الطبيعة ذاتها، والإنسان خاضع للقانون الطبيعي باعتباره ابن الطبيعة، مما يجعل من مسار التاريخ ينطوي على تطور نحو ما هو أسى. وقد تجاوزت هذه النظرية علاقات السياسة وأخبار الحروب، معتبرين هذه الاخيرة لا تكشف عن التقدم، بل تجاوزتها إلى أوجه النشاط الإنساني من علم وفن وفلسفة وأدب وعلوم، معتبرين أن التاريخ الحق هو تاريخ الفكر الذي يتجسد فيه تقدم العقل البشري. (صبيحي، 1985، ص.177) وهذه الصورة فإنهم ينظرون إلى الطبيعة الإنسانية على أنها أسى حصيلة لعملية التطور ذاتها، ومن ثم يكون التقدم التاريخي متضمنا في الطبيعة.

وتطورت فكرة التقدم هاته حتى اتخذت طابع النظرية الشاملة في فلسفة التاريخ، كما تمثلها فلسفة هيغل Hegel التاريخية. فهو يجعل من فكرة التقدم هو تقدم نحو حرية الروح بوعيا لذاتها.

وهكذا يتبين أن التاريخ عند هيغل Hegel ليس رواية ساذجة للأحداث ولا حقل عبر من الماضي بل هو التاريخ الكلي أي التاريخ الفلسفي الذي ينظر إلى الوقائع نظرة غير مقيدة بالزمان. (فريد، 2000، ص.29). بل كل حدث تاريخي إنما يجري وفق مقتضيات العقل. هذا ما يؤكد لنا أن فلسفة التاريخ عند هيغل لا تعني شيئا سوى دراسة التاريخ من خلال الفكر. فلسفة التاريخ عند هيغل لا تبتغي دراسة التاريخ على الطريقة التي اعتمدها المؤرخون في بحثهم عن الوقائع التاريخية، بل تسعى إلى تفسير التاريخ تفسيراً تتجلى فيه حركة الروح العاقلة في الزمان. وذلك انطلاقاً من الفكرة التي تجلبها الفلسفة وهي تدرس التاريخ عي الفكرة القائلة: « أن العقل يسيطر على العالم، وأن تاريخ العالم يمثل بيننا بوصفه مسارا عقليا ». (هيغل، 2007، ص.78) وهذه الفكرة قد استقاها هيغل من الفلسفة اليونانية القائلة أن العقل هو جوهر الطبيعة، وذلك على اعتبار أن العقل يميز الإنسان الحربي ببطبعته، لذلك أن الامم التي لا تحقق الحرية لا تدخل محراب التاريخ على اعتبار أن التاريخ هو الذي يفصح عن تقدم الوعي بالحرية وتحقيقها. فالمجتمعات الأولى كانت تعتمد على الاساطير فهي لا تكون جزءاً من التاريخ. وأوضح صورة يمكن أن يتجلى فيها وعي الذات بالحرية هي التاريخ، فتاريخ العالم هو مسار تكافح فيه الروح لكي تصل إلى معي ذاتها، أعني لكي تكون حرة. (رأفت، 1987، ص.144). وقد تتبع هيغل مسار الروح من خلال تجلبها في التاريخ حيث أن كل مرحلة من مراحل سيره تمثل درجة معينة من درجات الحرية، فأما المرحلة الأولى والتي تمثلها الحضارات الشرقية القديمة والتي لم تدرك الحرية ولم تعشها، وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة اليونان والرومان حيث بدأ نطاق الحرية يتسع، والمرحلة الثالثة تمثلها الامم الجرمانية وفيها يتحقق الروح ويكتمل العقل الكلي من خلال تحقق الدولة المدنية التي يشعر فيها الإنسان بحريته.. ومنة هنا كانت الدولة هي وحدة الاخلاق الذاتية والاخلاق الموضوعية أو بعبارة أخرى هي التحقق الفعلي للحرية، باعتبار أن الارادة التي تطيع القانون وتخضع له هي وحدها الارادة الحرة.

ومن جهة أخرى تتجسد أيضا فكرة التطور التاريخ في التصور الماركسي للتاريخ الذي ربطه أساسا بالبناء الاقتصادي. فالماركسية تعتبر أن المادة هي جوهر الطبيعة والإدراك والشعور، وأن

الاحوال المادية هي التي تحدد طبيعة المجتمع ونظامه السياسي والفكري، وهي أيضا القوة المحركة للتاريخ، فتاريخ المجتمع الإنساني هو تاريخ تطور الإنتاج، فقد مر التاريخ الإنساني بخمسة مراحل أساسية لعلاقات الإنتاج تتمثل في المشاعة البدائية، والرق، والمجتمع الاقطاعي، والنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، من خلال هذه المراحل تتجلى حركة التاريخ وفق ما يعرف بالمادية الجدلية والمادية التاريخية..(عبد العزيز، ص.35)

ففي مقدمة كتاب (الاقتصاد السياسي) حاول ماركس أن يوضح الاساس الذي تنطلق منه عوامل التغيير والتطور في التاريخ مرتكزا في ذلك على البناء الاقتصادي للمجتمع، بحيث يصبح أسلوب الإنتاج في الحياة المادية هو الموجه لكل العمليات الاجتماعية والسياسية والروحية معتمدا على مقولة التطور الاقتصادي هو الذي يحدد وعي الامة الفكري. حيث يصبح جوهر نظرية ماركس Marx أن طريقة انتاج الحياة المادية هي التي تصنع بصفة عامة نمو الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية. وكتب إنجلز engels قائلا: «أن الشرط الأساسي لكل تاريخ إنساني هو وجود الافراد الاحياء». (ويدجيري، 1979، ص.260). إن الإنتاج يحدد شكل العلاقات بين الافراد من حيث أن طبيعتهم ترتبط ارتباطا مباشرا بالشروط المادية التي تحدد انتاجهم. وهكذا يتجلى لنا الامر بأن التاريخ يرتكز ارتكازا مباشرا على الإنتاج الرامي إلى سد الحاجيات المادية حيث تعتبر ضرورة أولى بالنسبة لنظرية التاريخ. حيث تؤدي تطور قوى الإنتاج المادية في المجتمع إلى التصادم مع علاقات الملكية التي تمثل قيودا لهذا التطور وهنا يحدث ما يعرف في الادبيات الماركسية "الانقلاب الاجتماعي" Révolution sociale (هاشم، 2007، ص.342).

وهذا فإن التاريخ يتحقق وفق رغبات الناس بحيث أن كل الناس يخلقون تاريخهم الخاص، فغاياتهم المختلفة الناتجة عن إراداتهم الواعية التي تعمل في اتجاهات مختلفة، وما تخلفه من آثار على العالم الخارجي هي التي تشكل التاريخ، فالتاريخ محكوم برغبات الناس التي تمثل جملة من القوانين الخفية وهي قوانين اقتصادية تقود في آخر المطاف إلى حتمية تاريخية، أو ما يصطلح عليه في الفكر الماركسي "المادية التاريخية" matérialisme historique، حيث يرى ماركس أن القوى الحقيقية التي تحكم التطور التاريخي في جميع حالاته تأتي من تحدد سلوك الإنسان. ويمكن أن نلخص التصور الماركسي للتاريخ وفق المادية التاريخية والمادية الجدلية matérialisme dialectique، من حيث أن التغيرات في المجتمع تبدأ من الاساس المادي الاقتصادي بناء على نمو

قوى الإنتاج المادي الذي يبعث في تناقض مع علاقات الإنتاج، وهذا التناقض لا يحل إلا بالثورة على هذا الوضع، فالصراع بين الطبقات هو الذي يساعد على نشوء نظام جديد لا يلبث هو الآخر أن يتعرض لصراع الطبقات، إلى أن ينتهي بزوال الطبقات، فيبدأ التاريخ عند ماركس مع من المشاعية البيدائية التي يؤدي فيها اكتشاف الزراعة إلى انقسام المجتمع إلى طبقي العبيد والأسياد حيث يبدأ الصراع الطبقي ليزول هذا النموذج الاجتماعي ويحل محله الاقطاع ليتواصل الصراع فينتج الرأسمالية التي يحمل بذور فنائها في داخلها وينتهي بسيطرة الطبقة البروليتارية حيث يعود المجتمع إلى الشيوعية بمعنى زوال الطبقات.

هكذا تجعل الماركسية من العامل الاقتصادي والتطور الجدلي تبريرا لحركة التاريخ العالمي.

2.1.2. فكرة الدورات الحضارية في التاريخ:

تعتبر نظرية الدورات الحضارية في التاريخ هي الاخرى معبرة عن ذلك التصور التأملي للتاريخ، حيث لم تخل تصوراتهم لحركة التاريخ من سعيهم ومحاولتهم الكشف عن نمطها وطبيعتها إيقاعها، حيث يعتبرون أن للتاريخ دورات حضارية يعيد بها نفسه بصورة أو بأخرى . وقد بدأت هذه النظرة الفلسفية للتاريخ مع ابن خلدون إلا أنها تخمرت وتوضحت مع فولتير *voltaire* ، وشبينجلر *spengler* وتويني *Toynbee*، فقد عبر عن ذلك فولتير من خلال اعتباره أن تاريخ المجتمعات الإنسانية تمر بحلقات حضارية تنتقل فيها من البربرية إلى المدنية بفضل العناية الالهية، كما يظهر ذلك من خلال كتابه (مدخل في طبائع الامم وروحها)، وهذا لا يعني أنه يتبنى فكرة العناية الالهية المسيحية التي قال بها أوغستين *Augustin*، وبوسويه *bossuet*، بل على العكس من ذلك فقد كان يكن عداً للكنيسة الكاثوليكية، وخاصة في اقتصارها على الشعوب المسيحية، حيث كان يتجه نحو التاريخ العالمي. (ويدجيري، 1979، ص.200)، كما نجد فكرة الدورات التاريخية عند شبنجلر *spengler* معتبرا الحضارة كائن عضوي، ينشأ ثم يزدهر فيشيخ حتى يلحقه الفناء، وهذا ما أطلق عليه التصور البيولوجي للحضارات، حيث أن جوهر التاريخ في نظره يرتكز على مفهوم الحضارات، وهكذا وجه بحثه نحوها بوصفها كائنات عضوية تنبثق عنها سائر الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية، فالإنسان هو صنيع الحضارة وليس العكس، وأن لكل حضارة دورة حياة ذاتية من ولادة ونشأة ووفاء، وهذا يجعل أن لكل حضارة علومها وفنونها المختلفة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما اعتبر لكل حضارة لغة سرية لشعورها بالعالم، وهذه اللغة لا يفهمها إلا الشخص

الذي ينتمي نفسه إلى تلك الحضارة، هذه التصورات هي التي تجعل من الحضارات مغلقة على نفسها بصورة تمنع التأثيرات المتبادلة أو الاخذ والعطاء بين الحضارات، أذن هناك حضارات متعددة متميزة متميزة، وهكذا فالتاريخ لا يمثل خطأ مستقيماً من القديم إلى الوسيط إلى الحديث، بل يتكون من عدة حضارات مستقلة. (هاشم، 2007، ص.272). ولذلك فإن كل ما يملكه فيلسوف التاريخ هو أن يحاول دراسة التراكيب الخاصة لهذه الحضارات دراسة مقارنة.

أما توينبي Toynbee الذي يتبنى هو الآخر فكرة الدورات الحضارية، وإن كان يتفق مع شينجلا في رفضه لفكرة دراسة التاريخ على أساس نظرية وحدة الحضارة الإنسانية، لأن هذه النظرة تختزل التطور الحضاري في الفكر الغربي منكرة على المجتمعات الأخرى قدرتها على الابداع الحضاري. كما ينفي أي دور للبيئة أو الجنس في خلق الحضارات بل هناك في رأيه عامل آخر حاسم في نشأة الحضارات أن غيابه هو الذي يؤدي إلى انهيارها، هذا العامل هو عامل التحدي والاستجابة Défi et Réponse، فبدء كل حضارة هو حصيلة تفاعل فالظروف الصعبة هي التي تستثير في الامم قيام الحضارات، فالبيئات الطبيعية الصعبة تشكل حافزاً نحو الحضارة، ولكن لا يمكن أن نحدد هذا الحافز في الظروف الطبيعية فقط فقد يكون ناتجاً عن ضربات خارجية أو داخلية، فكلما تمكنت الأمة من الاستجابة لهذا التحدي قدم المجتمع طاقاته الابداعية ونهض مدافعاً عن نفسه بقوة، وعلى العكس من ذلك عدم القدرة على التحدي معناه الانهيار. لقد حاول توينبي من خلال هذه الفكرة أن يفسر مسألة نشوء الحضارات ونموها ثم تدهورها وتحللها.

لقد عرضنا في هذه العجالة مختلف النظريات التي حولت أن تفسر التاريخ وفق النظرة التأملية التي تسعى إلى إيجاد تفسير لحركة التاريخ في ضوء النظريات الفلسفية المختلفة.

2.2. الفلسفة النقدية للتاريخ:

تكتمل فلسفة التاريخ التقليدية بمنظومة هيكل الفلسفية، لكن فلسفة التاريخ الحديثة تبدأ برفض الهيكلية، ولم يعد المثل الأعلى أن نحدد مباشرة معنى الصيرورة الإنسانية، كما أن الفيلسوف لم يعد يؤمن أنه ذاك الذي يملك أسرار العناية الالهية. إن فلسفة التاريخ النقدية تعدل عن بلوغ المعنى النهائي للتطور، وهكذا يمثل تحليل المعرفة التاريخية بالنسبة إلى فلسفة التاريخ ما مثله النقد الكانطي بالنسبة للميتا فيزياء الوثوقية. (ارون، 1999، ص.9)

فقد أثار أصحاب المدرسة النقدية في فلسفة التاريخ عددا من القضايا التي يمكن اعتبارها من صميم البحث النقدي الذي يرتبط أساسا بالتفسير العلمي. « وفي هذا المجال كان السؤال الذي يلح على هؤلاء الفلاسفة يدور حول ما يقتضيه منطق التفسيرات التي نعددها مقبولة في دراسة التاريخ، من خضوع لقوانين عامة، كما هو الحال في مباحث العلوم الطبيعية » (صبيحي، 1985، ص.149). فالتساؤل الذي تطرحة الفلسفة النقدية للتاريخ يرتبط أساسا بإمكانية تطبيق المنهج العلمي على الأحداث التاريخية على غرار العلوم الطبيعية. مما يجعل من هذه الحوادث مترابطة ترابطا حتميا. إن فلسفة التاريخ النقدية تعنى بجملتها بقضية المنهج، ومنطق البحث التاريخي.

1.2.2. مدرسة الحوليات:

نتيجة لذلك فإن الفلسفات الشمولية التي تدعي صياغة معنى للتاريخ، لا تحظى البتة باهتمام الحوليات، كما يشمل أيضا هذا الاهمال لاهوت التاريخ، بما فيه الاعمال المعاصرة ل: هنري مارو H.Marrou وبول ريكور P.Ricoeur كما يشمل هذا الاهمال أيضا ما اقترحه فيكو Vico، وهيغل Hegel، وكروتشه Croce، من تأويلات كبرى لمستقبل الإنسانية، كما لا يستهويهم ذلك التصور الذي تقدمه الماركسية للتاريخ والمتمثل في نظرتها الخطية والغائية للتاريخ. وأصبح يراد للمؤرخ أن يصبح شبيها بالعلماء الكبار، على غرار الفيزيائي وعلم الطبيعة واضعا للفرضيات (هرفي، 1995، ص.ص.97-98).

تبدو العودة إلى الاهتمام بالحدث التاريخي أكثر إثارة لان ذلك يتنزل في حقل كان يناضل ضده كل من لوسيان فيفر، Lucien Febvre، ومارك بلوخ Marc Bloch، وكان الوقوف ضد التاريخ السردى السطحي والسياسي منه خاصة، هو المستهدف الرئيسي للأعداد الأولى لمجلة الحوليات، لكن عودة الاهتمام بالحدث التاريخ ارتبطت بجملة من التطورات التي أفسحت له المجال ليلج حقل التاريخ أهمها صنع الحدث من طرف وسائل الاعلام ويظهر هذا من خلال تحليل بيار نورا Pierre Nora، والثانية هو امكانية الانطلاق من الحدث ودراسته كمؤشر على البنى ومبلور لها. (لوغوف، 2007، ص.46)

وبهذا يمكن اعتبار سنة 1955 نقطة تحول، حيث أصبحت الافكار النابعة عن طروحات مارك بلوخ، ولوسيان فيفر يظهر أثرها التام، حيث أصبحت المدرسة التي أساسها والمجلة التي

أنشأها مجلة الحوليات (Annals)، الدافع المثير الذي وجه فكر المؤرخين الغربيين الأوروبيين نحو ميادين لم تكن مألوفة واقتراح طرق جديدة للمعالج التاريخية، التي وقعت في مواجهة مع التاريخانية الألمانية وقد عبر موميليانو Momiliano عن ذلك عندما اعتبر أن مدرسة الحوليات أخذت تحتل مكانها في أوروبا الخاضعة للمدرسة التاريخانية الألمانية. (جيفري، 1984، ص.ص. 92-93)

وعندما نحاول أن نستقري منهاج مدرسة الحوليات نجد أنه يلح على ضرورة توسيع أبعاد التاريخ ونظرة المؤرخ في نفس الوقت، حيث يصبح مشتملا على كل ما يرتبط بالفعاليات البشرية، أي كل ما عي الإنسان أو أنتجه الإنسان، وكل ما يلعب دورا في حياة الإنسان وله أهمية في وجوده ونشاطه وأذواقه . ولم يقتصر هذا الموقف على مؤسسي الحوليات بل امتد إلى الجيل الثاني منها ممثلا بالخصوص في فرديناند بروديل Fernand Braudel .

فالتاريخ الجديد يتميز بكونه يحرر نفسه من الوثائق وما تفرضه من تحديدات، بل على العكس من ذلك فعليه أن يكون منفتحا على كل المكتشفات وطرق العلوم الأخرى كالجغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس، كما ينتقد زعماء مدرسة الحوليات تقسيم التاريخ إلى تخصصات، بين التاريخ الاقتصادي والتاريخ السياسي، ... الخ معتبرين أن فصل التاريخ عن مضماره الاجتماعي هو أكبر خطأ وأسوأ من عبث، ولهذا يصبح عمل المؤرخ الأول هو طرح الاسئلة بدل من سعيه إلى الجري وراء الوثيقة التي تعتبر شاهدا قلما يتكلم شأنه شأن معظم الشهود، ولذلك فإن التساؤلات هي أول ضرورة لكافة البحوث التاريخية الجيدة التوجيهية. وبالتالي فالتاريخ في منظور مدرسة الحوليات ليس تكديس لحقائق باعتبار أن الماضي غير قائم حليا وفكرة اعطاء الحياة لهذه المجموعة من الاجساد الميتة من خلال تجميع بقاياها هي خيال خادع.

فالمؤرخ الحقيقي هو ذلك الذي يخلق موضوع دراسته بنفس الشكل الذي يفعله العالم تماما على حد تعبير بلوخ.

وهكذا فيمكننا أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن مدرسة الحوليات توجهت نحو العلوم الاجتماعية للحصول على آراء وأشكال وطرق جديدة، فقد أعطت الحوليات نماذج من التبادل بين علم الاجتماع وعلم التاريخ.

2.2.2. التاريخ في التصور الوضعي:

خضع علم التاريخ لهيمنة الاتجاه الوضعي المتمثل في تطبيق قوانين العلوم الطبيعية على الإنسان، في غضون نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويتجلى ذلك من خلال الابحاث التي قدمها أمثال تيودور مومسان Theodor Mommsen، وليوبولد فان رانكه Leopold Von Ranke، في ألمانيا، كما ظهر أيضا أرنيست رينان Arnest Rinan، وشارل سانويوبوس Charles Seignobos، وشارل فيكتور لانجلو Charles Victor Langlois، وغيرهم حيث أصبح التاريخ مودة حتى قيل: « سيكون التاريخ طابع العصر، كما كانت الفلسفة طابع القرن الثامن عشر » (التيومومي، 2013، ص.84)

أمن المؤرخون الوضعيون بأن العلم الوحيد هو علم الطبيعة، علم قائم على الدقة الرياضية، والممارسة التجريبية، وأن كل المشاكل يمكن اختزالها في التقني البحت، والتاريخ لا يحدد عن هذه القاعدة، لهذا يرى ارنيست رينان Arnest Rinan إمكانية ارساء علم دقيق خاص بأشياء الروح، وأيضا اعتقد فان رانكه Leopold Von Ranke أن علم التاريخ قادر على استرجاع الصورة التي وقعت فيها الاحداث في الماضي فعليا، كما اعتبر غيرهما من المؤرخين الوضعيين أن التاريخ ليس فنا وإنما هو علم صاف مثل الفيزياء وعلم الأحياء هذا ما يجعل المؤرخ الوضعي يولي اهتماما بالغا بالوثيقة التاريخية، وأن تكون مكتوبة بلغة سليمة بعيدة عن البلاغة والمحسنات البديعية، أي بمعنى تبني المؤرخ الوضعي أقصى درجات الموضوعية حيث يصبح الحدث التاريخي بالنسبة إليه كالتجربة التي يمارسها عالم الطبيعيات.

خاتمة:

وهكذا يضح لنا في الأخير أن ارتباط الإنسانية بالفعل التاريخي ليس هدفه تأكيد الأصل والكيان فحسب كما شاع عن التاريخ بل من خلال هذه الفلسفات التأملية بخطابها التأملي، أو بحثها النقدي بين أن هذا الارتباط يتجسد من خلال التفاعل والتأثير المتبادل. وبهذا فكلما ارتفع الإنسان في مراتب الإنسانية ارتقت نظرتة التاريخية، وغزر فعله التاريخي، وكذلك فكلما كان وعيه بالماضي أصفى ومجاهته أصدق وأعمق اغتنى كيانه الإنساني وغدا أقدر على الإنتاج والإبداع.

وعلى هذا الأساس فإن الفيلسوف لا المؤرخ هو الذي يجعل فلسفة التاريخ موضوع تحرياته، ومع ذلك فالفيلسوف يلتزم باعتبار ما يقوله المؤرخ عن التاريخ كشيء ملموس كما يلتزم به كرواية سواء بسواء. (ويدجيري، 1979، ص. 299)، فلا بد إذن من الاهتمام بالمعالجات التي ترمي إلى تركيب الحياة التاريخية من جميع زواياها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. كاسيرر، أرنست، في المعرفة التاريخية، ترجمة: أحمد حمدي محمود، (ب ط)، دار النهضة العربية، بيروت.
2. غنيمي الشيخ، رأفت، (1988)، فلسفة التاريخ، (ط:1)، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة
3. دواجي غالي، حساين، (2016)، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في تطور الفكر التاريخي في الفلسفة الغربية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد:12، سيدي بلعباس
4. الشرقاوي، عفت، (1985)، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ط:4، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت
5. بن شرقي، بن مزبان، (2003)، التاريخ وكونية الاختلاف، من أجل فلسفة أخرى للتاريخ من منظور كوني، ط:1 منشورات الاختلاف، بيروت
6. بن شرقي، بن مزبان، (2007)، دروس في فلسفة التاريخ، ط:1، دار الغرب، الجزائر.
7. محمود صبيح، أحمد، (1985)، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية.
8. مارتان، هرفي، (1995)، التاريخ الجديد وريث مدرسة الحوليات ترجمة مصطفى ناجي، مجلة أمل، 2 (6)،
9. لوغوف، جاك، التاريخ الجديد، (2007)، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، ط:1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
10. جيفري باراكلو، (1984)، الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة صالح أحمد العلي، ط:1، مؤسسة الرسالة، لبنان
11. فريد بن سليمان، (2000)، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس
12. هيجل، (2007)، محاضرات في فلسفة التاريخ، (العقل العامل في التاريخ)، ط:3، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان.
13. الهادي التيمومي، (2013)، المدارس التاريخية الحديثة، ط:1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان،
14. البان جورج ويدجيري، (1979)، المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي، ط:2، دار القلم، بيروت
15. هاشم يحي الملاح، (2007)، المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التحليلية والنقدية، ط:1، دار الكتاب العلمية، بيروت.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):
حساين دواجي غالي. (2022). فلسفة التاريخ: من التصور التأملي إلى النظرة النقدية. *أفاق فكرية*، سيدي بلعباس (الجزائر)، 10 (1)، ص ص 416-427 ؛ رابط المجلة

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396>